منهجيّة كوداي لتعليم الغناء ونظريات الموسيقا في رياض الأطفال ومرحلة التعليم الأساسي الأولى

*رامي حداد**

ملخص

سلطان كوداي هو موسيقي وباحث في التربية الموسيقية وقد أكّد على أهمية الموسيقا في تنمية الحس وبناء الشخصية لدى الطفل، وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح المنهجيّة التي اتّبعها كوداي في توظيف الغناء الشعبي في تعليم الغناء وبعض نظريات الموسيقا للأطفال في مرحلتي الروضة والمرحلة الدراسيّة الأولى في المدرسة، كما تهدف الدراسة إلى بيان أهميّة الحفاظ على التراث الشعبي واستخدامه في عمليّة التعليم.

اعتمدت المنهج التحليلي القائم على تحليل النظريّة وتفسيرها بأسلوب يضمن فهمها وتقديم مقترحات لتوظيفها، وقد توصل الباحثون إلى عدّة نتائج من أهمها؛ إنّ الأغنية الشعبية عامل أساسي وهام في تعليم نظريات الموسيقا، والعزف، والغناء، وأهم ما في الأمر تربية الأذن الموسيقيّة والتذوّق الموسيقي، وأنه يجب أن يتم تدريب الأطفال على الغناء الشعبي في سن مبكرة، كما ويحب التركيز على الأغاني الشعبية المحليّة ومن ثم الانطلاق إلى الأغاني الشعبيّة للشعوب الأخرى.

وقد خرج الباحث في نهاية البحث ببعض التوصيات منها؛ ضرورة تضمين الغناء الشعبي في منهاج الموسيقا في المدارس على أن يحتوي أهدافاً محددة وواضحة، وضرورة تدريب معلمي المدارس على استخدام منجيّة كوداي توظيفها، بالإضافة إلى التركيز على الألعاب الموسيقيّة كفعل متزامن مع الغناء الشعبي.

الكلمات الدالة: موسيقا، غناء شعبي، منهجية كوداي، تربية موسيقية.

المقدمـة

سلطان أو "زلتان" كوداي (Zoltan Kodály) واحد من ألمع الموسيقيين والباحثين في مجال التربية الموسيقية الذين أكدوا على أهميتها في تنمية الحس وبناء الشخصية لدى الطفل، ابتداء من مرحلة ما قبل المدرسة وحتى نهاية المرحلة الأساسية، كما أنه كان من أوائل الذين جسدوا الهوية القومية باستخدام الأغاني والألحان التراثية في التعليم الموسيقي، وقد جعل من الموسيقا الشعبية محوراً لمؤلفاته الأوركسترالية (صادق وصبري، 1978: 185)، ولذلك، فإن اتّباع منهجيته في أي مكان في العالم يعتبر عاملاً فاعلاً في الحفاظ على التراث الموسيقي كجزء من الهوية القومية، فضلاً عن أن التعليم الموسيقي في كثير من بلدان العالم قد سار على نهجه في تدريس الغناء وتربية الأذن وتنمية التذوق الفني.

يُشكّلُ منهج كوداي قاعدةَ التعليم الموسيقي العام حالياً في هنغاريا، وقد اتّصف عمل كوداي التربوي، قبل كل شيء، بمبادرته التي لا يمكن تحويله عنها، وحيويته التي لا تكل، ومع انتباهه للأمور البسيطة نسبياً، حاملاً شعاره ومبدأه الديمقراطي والشامل "الموسيقا ملك لكُلّ شخص"، فبالنسبة له كتربوي، اعتبر كوداي التعليمِ الموسيقي أولويّة ذات أهمية مستحقّة تتعدى وتفوق عملِه الإبداعي الخاص؛ لقد شُغل بالكامل ولعقود عدة في محاربة الأميّة الموسيقية لدى الأطفال والشباب الهنغاري، وفي عام 1937، أثناء محاضرة ألقاها في إحدى المدن الإقليمية في هنجاريا قال "إنّ أساسيات الثقافة الموسيقية تقع في المدرسة" (Szönyi, 1990: 14). وهذا يشير إلى مدى الأهمية التي أولاها كوداي لدور المدرسة في بناء الثقافة الموسيقية لدى الأطفال.

تهتم العديد من مؤسسات التعليم، وعلى وجه الخصوص رياض الأطفال ومدارس التعليم الخاص، بإعطاء حصّة إلى حصتي موسيقا أسبوعياً، كما توكل مهمّة تعليم الموسيقا إلى معلّم متخصّص يقوم بتعليم الغناء والقراءة الإيقاعيّة والغنائيّة، ونظريات الموسيقا وتاريخها، وما إلى ذلك، إلا أن منهجيّة التعليم الموسيقي تختلف باختلاف تأسيس ذلك المعلّم وخلفيته

* كلية الفنون والتصميم، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2014/7/2، وتاريخ قبوله 2014/10/20.

© 2015 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

التربويّة، ومهارته التعليميّة، وثقافته الموسيقيّة، وكمّ اعتماده على الكتاب المدرسي، وإمكانيات المدرسة واهتماماتها، وما إلى ذلك من الأمور التي تساعد في وضع منهجيّة واضحة للتعليم الموسيقي، وفوق ذلك كلّه، فإن الطالب، كمحور للعمليّة التربويّة يعد عاملاً هاماً من العوامل المساعدة على تشجيع معلّم الموسيقا على إعطاء مادته، ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي تطرح أسلوباً تربوياً هاماً يساعد كلاً من المعلّم والطالب على تعليم وتعلّم الغناء ونظريات الموسيقا في مراحل التعليم الأولى ابتداءً من رياض الأطفال وخلال مرحلة التعليم الأساسي الأولى، حيث تعتبر تلك المراحل أساساً متيناً في معمليّة التعليم الموسيقي (Gordon, 1990: 9).

هدف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على المنهجيّة التي اتّبعها كوداي في توظيف الغناء الشعبي وتوضيح تلك المنهجيّة في تعليم الغناء وبعض نظريات الموسيقا للأطفال في رياض الأطفال والمراحل الدراسيّة الأولى في المدرسة، كما تهدف الدراسة إلى بيان أهميّة الحفاظ على التراث الشعبي واستخدامه في عمليّة التعليم.

مشكلة الدراسة وأهميّتها

لاحظ الباحث أن لدى العديد من المعلّمين* فهم خاطئ لمنهجيّة كوداي في استخدام التراث الشعبي الموسيقي لتعليم الموسيقا، حيث يعتقد العديد منهم أن منهجيّة كوداي تدعو لتعليم الأطفال الأغاني الشعبيّة فقط دون الانتباه إلى الآليّة التي طرحها كوداي في تعليم الموسيقا من خلال تلك الأغاني، وعليه، تكمن أهميّة الدراسة في أنها من الدراسات العربيّة القليلة التي تسلّط الضوء على منهجيّة كوداي في تعليم الموسيقي، وتقوم بشرحها بطريقة مبسّطة وواضحة.

منهجيّة الدراسة وإجراءاتها

تستخدم الدراسة المنهج التحليلي (Analytical method) الذي يقوم على تحليل النظريّة وتفسيرها بأسلوب يضمن فهمها وتقديم مقترحات لتوظيفها، وقد قام الباحث بالخطوات التالية:

1- دراسة النظريّة بعناية وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع المعتمدة.

2- تحليل النظريّة وتفسيرها بشكل مبسّط وواضح.

3- الاستعانة ببعض الأمثلة من تراث الأغاني الشعبيّة العربيّة لتوضيح المنهجيّة.

4- الخروج بنتائج الدراسة والتوصيات.

أسئلة الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة قام الباحث بطرح الأسئلة التالية:

1- ما القصد من وراء استخدام التراث الموسيقي الشعبي في منهجيّة كوداي؟

2- كيف يوظّف كوداي ذلك التراث الشعبي في تعليم الغناء ونظريات الموسيقا في مراحل التعليم الأوليّ؟

3- هل يمكن الاستعانة بالأغاني الشعبيّة العربيّة لتطبيق منهجيّة كوداي؟

مصطلحات الدراسة

التراث الموسيقي الشعبي: الأغاني والألحان الشعبيّة المتوارثة في أي حضارة وعند أي أمّة.

منهجيّة: طريقة عمل مرسومة ضمن خطوات محددة.

مرحلة التعليم الأساسي الأولى: الصفوف من الأوّل وحتى السادس الأساسي

محددات الدراسة

تحددت هذه الدراسة في منهجها التحليلي، وفي تركيزها على شرح منهجيّة كوداي لتعليم غناء المسافات اللحنيّة والأشكال الإيقاعيّة للنغمات، وفي المراحل التعليميّة في رياض الأطفال والصفوف من الأوّل وحتى السادس الأساسي.

التعليم الموسيقي في دور رياض الأطفال ومرحلة التعليم الأساسي

إنّ تركيبة التعليم الموسيقي في هنغاريا والتي دعا إليها كوداي متوافقة إلى حد كبير مع نظام التعليم الموسيقي في العديد من دول العالم وخصوصاً دول العالم العربي ومنها على سبيل المثال؛ الأردن، ومصر، ولبنان، وسوريا، وبعض دول الخليج العربي، فمعظم دور رياض الأطفال تتبع نمطاً منتظماً ويرتادها الأطفال مِن عمر ثلاث إلى خمس سنوات (3-5)، حيث يتعلّم الأطفال مهارات وتعطى لهم دروساً في مجالات عدّة منها على سبيل المثال؛ اللغة، والنشاط الرياضي، والموسيقا، والألعاب الغنائية بشكل منتظم، وتخصص بعض دور رياض الأطفال للموسيقا حصّة أو حصّتين أسبوعيا لمدة (30 – 45) دقيقة،

* من خلال قيام الباحث بإعداد معلمين من جنسيات عربية مختلفة في مرحلتي البكالوريوس والماجستير على مدى أحدى عشرة سنة، والإشراف على مدرسين يعملون في المدارس ويدرسون مختلف المراحل، فقد لاحظ الباحث أن لدى العديد منهم فهم خاطئ للمنهجية.

حيث يتعلم الأطفال الغناء الجماعي، ويتعرضون لتجارب لتطوير الحس الإيقاعي، وتربية الأذن، ويتعرفون على بعض الآلات الموسيقيّة ويمارسون غناء بعض التراث الموسيقي الشعبي، وهذا كلّه غير موجود بشكل رسمي في كثير من رياض الأطفال، إلا أن هناك مبادرات عديدة لإدخال الموسيقا ضمن خطّة التعليم في رياض الأطفال خصوصاً تلك التابعة لأفراد أو مؤسسات خاصة أو جمعيات.

يلتحق الأطفال بين سن ستّة أعوام إلى اثني عشر عاماً، بالمدرسة الأساسيّة الأولى* (الأول وحتى السادس الأساسي) أو ما يعرف في بعض الدول بالمرحلة الابتدائيّة، ويتم طرح حصّة موسيقا، وفي بعض المدارس حصتين، اسبوعياً يتعلّم الأطفال خلالها الغناء الفردي والجماعي "الكورالي" ويطوِّرون حسهم الإيقاعي، ثم ينتقل الأطفال لتعلّم نظريات الموسيقا والتذوّق الموسيقي وتاريخ الموسيقا وعلم الآلات الموسيقيّة بمستويات تتناسب ومراحلهم المعرفيّة وقدراتهم على فهم تلك النظريات، وتعطى حصّة الموسيقا في بعض المدارس مِن قِبل معلم صف للأطفال مِنْ الفئة العمرية ستة إلى تسعة أعوام (6 – 9)، أي في الصفوف الثلاثة الأولى، أو من قِبَل معلمي موسيقا مدربين ومؤهلين، في حين توكل حصّة الموسيقا لباقي الصفوف إلى معلّم موسيقا متخصص وتكون مدة الحصّة (40–50) دقيقة تبعاً لتوقيت برنامج الحصص في المدرسة.

يستمر تعليم الموسيقى في الأردن على سبيل المثال في غالبيّة المدارس حتى الصف العاشر الأساسي أو حتى انتهاء المرحلة الإعداديّة، إلا أن القليل من المدارس توفّر أيضاً حصّة إلى حصّتي موسيقا للصفوف الثانويّة، حيث أن قرار الوزارة الرسمي لعدد حصص مادة "موسيقى وأناشيد" تبعاً لأسس النجاح والإكمال والرسوب في الأردن كمثال وللعام الدراسي 2009/2008 هي حصّة واحدة أسبوعياً للصفوف من الأول وحتى العاشر الأساسي فقط (وزارة التربية والتعليم الأردنية، 2008)، كما أنه وتبعاً للإطار العام لمنهاج الموسيقى والأناشيد، فإن محتوى المنهاج والمادة التعليمية يشتمل ما يلي: (وزارة التربية والتعليم الأردنية، 2004).

1- تاريخ وتذوّق
2- نظريات الموسيقى
3- قراءة موسيقية
4- أداء؛ غناء وعزف
5- استخدام التكنولوجيا

في حين يتوقّف التعليم الموسيقي غالباً وتبعاً لقرارات وزارة التربية والتعليم أو الوزارة المسؤولة عن التعليم المدرسي، مع انتهاء المرحلة الأساسيّة أو المرحلة الاعداديّة كما في بعض البلدان العربيّة، فإنه يستمر رسميّاً في هنجاريا حتى نهاية التعليم المدرسي، بالرغم من أن حصّة الموسيقا في هنجاريا لا تلْعبَ دوراً كبيراً في المنهج العام كما هي الحال في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية، وقد قام كوداي بوضع توصياته التي تم اعتمادها رسميّاً لتدريس الموسيقا في المدارس الهنغارية على نحو محدد يتدرّج من مهارات تطوير الإيقاع وتربية الأذن والغناء الفردي والجماعي، وصولاً إلى دراسة التاريخ والتذوّق الموسيقي، كما تختلف عدد حصص الموسيقا وزمنها تبعاً للمرحلة الدراسيّة *(Szönyi, ibid:9)، ويلخّص الجدول (1) نظام التعليم الموسيقي في المدارس النظامية الهنغارية.

الجدول (1)
نظام التعليم الموسيقي في المدارس النظامية الهنغارية

المرحلة الدراسيّة	الفئة العمرية	النشاط الموسيقي "الدروس"	مدة النشاط "الحصة"
رياض الأطفال	3 إلى 6 سنوات	مهارات تطوير الإيقاع وتربية الأذن، والغِنَاء بشكل واضح ودقيق، وكذلك المبادئ العامة للإيقاع والنغم	حصتين أسبوعيا لمدة 30 دقيقة
الصف الأول	6 سنوات	الغناء المدرسي	حصتين لمدة 30 دقيقةَ لكل حصة
الصف 2 – 4	7 إلى 8 سنوات	الغناء المدرسي	حصتين أسبوعيتين في الغناء لمدة 50 دقيقةَ لكل حصة
الصفوف 5 إلى 8	8 إلى 14 سنة	الغناء المدرسي والكورالي	أربعة حصص أسبوعياً لمدة 50 دقيقةَ لكل حصة*
الثانوية	14 إلى 18 سنة	غالباً دراسة تاريخ الموسيقا أَو التذوق الموسيقي أو نادراً دروساً غنائية منتظّمة	ساعتان أسبوعياَ

* حصتان للطلبة جميعهم للغناء المدرسي وحصتان لفئة منتقاة من الطلبة للغناء الكورالي

* تختلف بعض الدول في تحديد المرحلة الأساسيّة الأولى، وفي بعض الدول يتم تقسيم المراحل الدراسيّة إلى المرحلة الابتدائيّة والمرحلة الإعداديّة والمرحلة الثانويّة – الباحث.

* تختلف تقسيمة مرحل التعليم في هنجاريا عن مراحل التعليم في بعض البلدان العربية ومنها الأردن، حيث تبدأ المراحل في هنجاريا بالمرحلة الابتدائية (الصف الأول إلى الثامن) والمرحلة الثانوية (الصف التاسع إلى الصف الثاني عشر) – الباحث.

توجّهات كوداي في التعليم الموسيقي

لقد زَعمَ كوداي بأن الممارسة الفعّالة والاشتراك في النشاط الموسيقي يُساهمان في تطوير الملكات العقلية الأخرى للطفل، وبأنّ ذلك لا يؤسس الثقافة الفنيةِ فقط، لكنه يعود بفائدة على قدرات الطفل الجسدية والعقلية، وعليه، سَيَعِيش الطفل حياة أكثر نشاطاً، مهما كانت مجالاته أَو اهتماماته، وسَيُصبح عضواً أكثر فائدة لمجتمعه مِن أولئك الذين يَبْقون جاهلين موسيقياً. خلال العقود الأخيرة أجريت العديد من البحوث لدراسة تأثير الموسيقا على النشاط العقلي، وقد كانت النتائج مذهلة، وقد تأكدت وجهة نظر كوداي في العديد من الدراسات خلال العقود الأخيرة، منها دراسة قام بها دون كامبل (D. Campbell) لقياس أثر موسيقا موتزارت (Mozart) حيث وجدت الدراسة أن الاطفال الذين يتم إسماعهم وتعليمهم موسيقا موتزارت أبدوا تطوراً في قدرتهم على بناء علاقات اجتماعيّة، وتطوير الاستجابات العاطفيّة، وأبدوا فهماً أفضل للعالم من حولهم، وتحفيز الحركة، وقدرة التعبير اللفظي، والتفكير الرياضي، والذاكرة، وتحفيز الشعور القوي بهويته الشخصية (Campbell, 2002: 8-9).

كَتب كوداي في عام 1911 نقداً لكتاب "ماتياس زولتاي" (Mátyás Zoltai) وعنوانه "نظرية وهارمونية الموسيقا" (Music theory and Harmony)، حيث قالَ بأنّ الهدفَ الحقيقيَ من تعليم النظريات الموسيقية هو تشجيع الطلبة لصنع موسيقا حيّة بمهارة، وهذا يعني أنْ تَكُونَ قادراً على الغِنَاء الفوري (sight singing) وتدوين أي لحن عند سماعه، وقد أصرَّ كوداي، في كُلّ كتاباتِه عن التعليم الموسيقي على الحاجةِ إلى رَفْع المعيار العام لدروس الغناء في المدرسة، وشدد في مقالٍ له بعنوان "جوقات الأطفال" (Children's Choruses) على أهمية التعليم الموسيقي والدور الهام المناط بذلك التعليم؛ وتالياً بَعْض المقتطفات مِنْ المقالة التي أشرنا إليها (Szönyi, ibid: 11 – 12)؛

1. يَجِبُ أن يكون للتعليم الموسيقي في هنغاريا دور مشابهاً للذي لعبه خلال الحضارة الإغريقية.
2. تعتبر الأميّةُ الموسيقيةُ عائقاً يحول دون انتشار الثقافةَ الموسيقيةَ.
3. يَجِبُ العمل على تطوير دورات التعليم الموسيقي التي تعطى في كُليّات تدريب معلمي المدرسة الابتدائية.
4. يَجِبُ أَنْ يُمْنَع الأطفال مِن الاستماع للموسيقا السيئة في الفترات العمرية المبكرة قدر الإمكان؛ لأنه مع تقدم الطفل في العمر يفوت الأوان.
5. الموسيقا خبرة يَجِبُ على المدرسة توفيرها.
6. الغناء مع التمارين الطبيعيةِ اليومية يُطوّران بشكلٍ متساوٍ جسم الطفلِ وعقله.
7. الغناء الجماعي مهمُ جداً؛ لأن للموسيقا الجماعيّة دوراً هاماً في إخراج أشخاص يتحلّون بروح التعاون النبيلة.
8. الفترة الهامة لاكتساب الخبرة الموسيقية لدى الأطفال تأتي بين عمر خمس إلى ست سنوات (6–16) من مرحلة النمو.
9. يَجِبُ تقديم المواد التعليمية الأكثر قيمة للأطفال. أمّا البالغون فيَجِبُ أَنْ يتم توجيههم إلى المقطوعات الموسيقية العظيمة والمتميّزة.
10. يجب أَنْ يتشرّب الطفل الموسيقا الشعبية المحليّة كلغة موسيقيةَ أم، وبعد ذلك، يمكنه أَنْ يَتّجه إلى الموسيقى الأجنبيّة.
11. أفضل طريق إلى العبقرية الموسيقية تتأتى من خلال الصوت الإنساني، الآلة الموسيقية الأكثر توفراً عند كل شخص.
12. يَجِبُ أَنْ تُستَعملَ مقطوعات موسيقية مِن البلدان الأخرى في الغناء الكورالي، لكن يجِبُ أَنْ يتم تأليف أدب غنائي محلّي مِن قِبل المؤلفين المحليين بالاستفادة من الموسيقا الشعبية.
13. سيتم استعادة المال الذي سيصَرف على التعليم الموسيقي عن طريق العدد المتزايد من جمهور الأوبرا والحفلات الموسيقيةَ في السَنَوات اللاحقة.

لقد أكّد كوداي مراراً على استخدام الغناء الشعبي في التعليم الموسيقي، ونورد هنا بعض الاقتباسات المأخوذة مِن مقدمة رسائله (Bicinia Hungarica) الجزء الرّابع الذي تم نشره للمرة الأولى عام 1942*:

1. يَجِبُ على الهنغاريين أَنْ يتعلموا الأغاني الشعبية مِنْ أناس ذوي علاقة بالموسيقا الشعبية، إذ يتوجب كشف الملامح المألوفة فيها (مثل السلم الخماسي والتشابهات الإيقاعية) مما يعزز دراستنا وممارساتنا لتلك الأغاني، وتُغني معرفتَنا بموسيقانا الشعبية الهنغارية.
2. فقط بعد أن تصبح الألحان الشعبية المحليّة مألوفة للطالب، يمكن الانتقال إلى الألحانِ الشعبية للبلدان الأخرى، وإذا كان بالإمكان، يَجِبُ أَنْ تُغنّى تلك الألحان بلغاتها الأصلية – قدر الإمكان – مما سيساعد في تَعَلّمها، ومن خلال اللغات سنحظى بتفهّم طبائع تلك الشعوب.

بالنظر إلى هاتين الملاحظتين، فإننا نجد أن تدريس

* نظرة إلى الماضي (In Retrospect) – مجموعة مقالات نُشرها كوداي خلال حياته في بودابست عام 1964 وقد أخذت الاقتباسات من صفحة (70) الجزء الأول.

الموسيقا والأناشيد لا يجب أن يترك دون مراقبة، كما نجد أن ملاحظاته الواردة في كتاب جوقات الأطفال تحدد مدى أهميّة تدريس الموسيقا للطفل في مراحل الدراسة الأولى، ولقد اهتم كوداي بالغناء بالدرجة الأولى، وأعطى أهمية للتعليم منذ الصغر، وقال في عديد من الأماكن؛ إنّ الغناء بالنسبة للأطفال هو الأساس الحقيق للتعليم الموسيقي (Greata, 2006 P. 52)، ولقد شدد في مؤتمر صحفي عقد عام 1941 على النقاط التالية: (Bónis, 1964, P. 11)

1. الموسيقا ملك لكُلّ شخص؛ التعليم الموسيقي المناسب سَيصْبِح وسيلة التَقدير والاستمتاع بها.
2. يجب أنْ تُقدّمَ الثقافة الموسيقية في دور رياض الأطفال، بدلاً مِنْ المحاولة المتأخّرة في المَدارِس الثانوية كما هي العادة.
3. لا يطبّق التعليم الموسيقي بأي حال من الأحوال عن طريق الإلزام بتعليم العزف على الآلات الموسيقية، لكن بواسطة الغناء، الأساس الحقيقي الوحيد للثقافة الموسيقية.
4. يُساهمُ التعليمُ الموسيقي في الإمكانيات المتعددة الجوانب للطفل، ومؤثراً ليس فقط على القابلية الموسيقية لدى الطفل بشكل مُحدّد ولكن على حاسة السمع العامّة لديه، وقدرته على التَركيز، وردّود أفعاله الشرطية، وأفقه العاطفي، وثقافته الطبيعية.
5. بجانب تعليمهم اللغة الهنغارية، يَجِبُ أَنْ يتم إعطاء الأطفال مبادئ الموسيقا الهنغارية؛ وعلى أية حال، لا يتوجب عليهم أَنْ يَرتجلوا الأغاني وأناشيد الطفولة لكن يجب إعطاءهم أغانٍ شعبيةَ متوفرة وجاهزة للأطفال، وضمن مدى صوت مناسب وكلمات تتناسب وقدراتهم الفكرية وفئاتهم الُعمرية.
6. يجب أَنْ تتحد الأغنية والحركة عند ممارسة الألعاب الشعبية المألوفة.
7. يجب أَنْ يبْدَأَ منع اتصال الأطفال بالموسيقا السيئة في رياض الأطفال، لأنه مع تقدم الطفل في العمر يفوت الأوان.

يعود كوداي للتأكيد على أهمية المرحلة العمريّة في تعليم الغناء، ما يؤكد على أهميّة الغناء الشعبي المتوفّر مع الانتباه إلى تعديل الطبقة الصوتيّة ومناسبة الكلمات للمرحلة العمريّة، فمدركات الطفل يجب أن تتناسب مع كلمات النشيد وكذلك حصيلته اللغويّة (فرج، 2004: 75)، ومن الواضح جداً الأهمية التي يوليها كوداي للغناء الشعبي والألعاب الشعبية، كما أن إيمان كوداي بأهمية البدء بالتربية الموسيقية للطفل في سن مبكّرة جداً وتفضيله تعليم الغناء على تعليم الآلة، هي من الأمور التي يركز عليها بشل مستمر، فوظيفة معلّم الموسيقا بالدرجة الأولى تنمية مهارات الغناء، وهذا يتأتى كما يقول لنا الفيلسوف والتربوي السويسري جان جاك روسو (Rousseau, Jean-Jacques) (1712 – 1778) من خلال تنمية الأذن الموسيقيّة، حيث ربط روسو حاسة السمع مع حاسة النطق وقال بأن تربية حاسة السمع تتطلب التدريب وبذل الجهد للتحكم في أعضاء النطق كاللسان، الشفتان، والحلق أو الحنجرة، وقسم روسو الصوت البشري إلى ثلاثة أنواع هي؛ صوت الكلام، صوت الغناء، والصوت التعبيري، وقد أشار روسو إلى أن النوعين الأولين من السهل الوصول إليهما عند الطفل، أما النوع الثالث فمن الصعوبة أن يحققه الطفل في المراحل العمرية الصغرى (شورة، د.ت. ص28–29).

منهجية تعليم الغناء الشعبي عند كوداي

يمكن تحديد الهدف الرئيسي لمنهجية كوداي في أنها تسعى لتطوير موسيقية الإنسان الفطرية إلى الحدود القصوى، وعليه، يعتقد كوداي بأن تعليم الموسيقا يجب أن يبدأ في حياة الطفل في أقرب وقت ممكن. في الواقع يذهب كوداي للقول بأن التربية الموسيقية للطفل يجب أن تبدأ منذ تسعة أشهر قبل الولادة (Trinka. n.d).

اهتم كوداي بالأغنية الشعبية على أساس أنها اللغة الموسيقية الأم للطفل، وقال أنه يجب أن تُكتَسب تلك اللغة في سن الطفولة المبكرة بنفس النمط الذي يتعلّم به كيفية الكلام، فمن الطبيعي أن تقوم دروس الموسيقا على الأغنية الشعبية، وتنطوي الخطوة الأولى على ابتكار منهج يتضمّن أغاني أطفال وأغانٍ شعبية، وتحديد مساحة صوتية مناسبة للأطفال وكلمات تناسب مدركاتهم ومحتواهم اللغوي، ومن خلال ذلك تتوفر لدينا نقطة انطلاق (Earl, 1998).

أكّد كوداي أيضا في منهجيّته على تعليم الطفل المسافات الصوتيّة من خلال الأغاني الشعبية التي تحتوي تلك المسافات بحيث يتم الابتداء أولاً من مسافة الثالثة الصغيرة الهابطة (descending minor third)، وهنا يأتي دور المعلّم بالبحث عن مثل تلك الأغاني والتي يدعو كوداي لأن تكون من درجة (مي– صول) فوق (دو) الوسطى (SOL-ME)، ثم يضيف نغمة (لا) (LA) إذ تشكّل نغمة خارجية بالنسبة لنغمة (SOL) وتشكّل هاتان النغمتان الأفكار اللحنية الصغيرة (Motives) الأكثر تكراراً في الأغاني الهنغارية لمرحلة رياض الأطفال، علاوة على ذلك، ومن ناحية موسيقية، فإن مسافة الثالثة هي أكثر إثارة من المسافات صاعدة كانت أم هابطة.

لم يغفل كوداي الإيقاع (وحدة الزمن)*، فمعرفة الطفل

* يقصد الباحثون بالإيقاع؛ القيمة الزمنيّة للعلامات الموسيقيّة.

الأولى بالإيقاع تتم من خلال الخُطو والمسير بثبات تبعاً لإيقاع الوحدة الكاملة أي السوداء (Crotchet)، والتي تؤدي إلى تعليمه التفكير بالإيقاع الثنائي الذي يحتوي وحدتي سوداء، ثمّ يجب علينا لاحقاً أن نجعله يحسّ بأنصاف الوحدات؛ أي ذات السن (quavers)، والمثال التالي يبيّن الميزات اللحنية والإيقاعية المَذْكُورة سالفاً والخاصة بأغاني مرحلة رياض الأطفال، وقد أضاف الباحث كلمات بالعربيّة تؤدي نفس النتيجة مع الانتباه إلى قراءة الكلمة من اليمين إلى الشِمال:

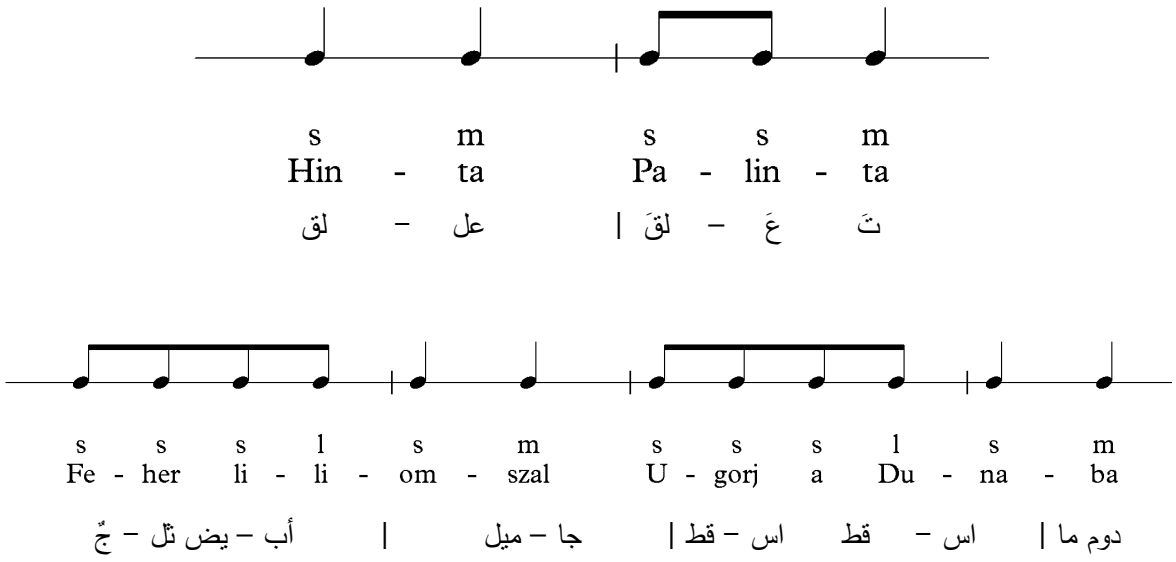

هذه الألحان، وألحان أخرى مماثلة، يتم تعلمها في دور رياض الأطفال بالتلقين، ويمكن الاستفادة من أغانٍ شعبية في تعليم الأطفال أنماط إيقاعات مشابهة، وفي الوقت الذي يصبح فيه الطفل في المدرسة الابتدائية سوف يمتلك كمّاً جيداً من المعرفة الموسيقيّة الذي على أساسه يمكن لمعلم الموسيقا أن يبدأ تدريس الموسيقا بشكل فعال، والمثال التالي يوضّح الفكرة:

باختيار أغنية (طاق- طاق- طاقيّة)* وهي من أغاني الأطفال الشعبيّة المألوفة، وكلماتها معروفة لدى معظم الأطفال، ويمكن ضبطها لتسير وفق الميزان الثنائي مع مسافات لحنيّة متتالية وقريبة وسهلة الغناء، وترافقها حركات معيّنة يقوم بها الأطفال إذ يجلسون على شكل دائرة ويقوم أحد الطلبة بالغناء والعد على رؤوس الأطفال الجالسين، ويحاول إسقاط قطعة قماش خلف أحد الجالسين ثم يركض (يجري) بدوره ويحاول الطالب الآخر الإمساك به ثم يقوم بنفس دور زميله، ويمكن استنباط النمط الإيقاعي للعبة والأغنية على النحو التالي:

بَعْدَ تعليم الأغنية بالتلقين، يقوم المعلّم بتدريب الأطفال على أداء العناصر الموسيقية الأوليّة وذلك بتصفّيق الإيقاع المنتظم أَو المسير تبعاً للزمن المتوافق مع النمط الإيقاعي للأغنية التي تم تعليمها، وفي نفس الوقت يقوم المعلّم والأطفال بغناء الكلمات، ويمكن بسهولة تصفيق النمطين الإيقاعيين مع النّواتين اللحنيتين (Motifs) اللتان تظهران في الحقلين المبيّنين في المثال أعلاه من ميزان 4/2، وينصح هنا أداء كل حقل على انفراد للتأكيد على النمط الإيقاعي واللحني، ثم يتم ربطهما معاً، ويؤدي الأطفال في عمر (3–6) سَنَوات تلك الأنماط بسهولة بعد أن اعتادوا على سماعها، وتالياً بَعْض الأمثلة من الأنماط الإيقاعيّة التي يمكن تحويرها من النمط الإيقاعي السابق، مع الإبقاء على نفس المسافات الغنائيّة:

* الأغنية من أغاني الأطفال الشعبيّة المألوفة في الأردن وفلسطين وسوريا ومصر وبعض البلدان العربيّة الأخرى، الباحث.

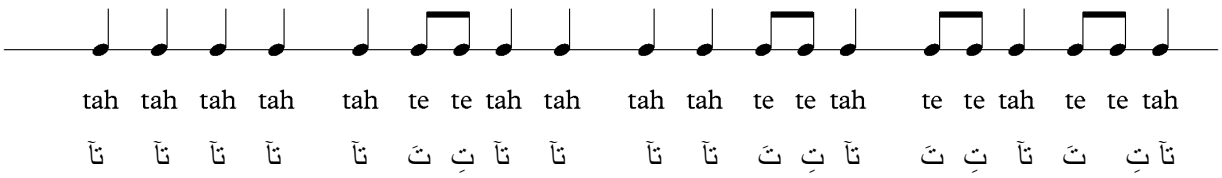

ينطق الأطفال مع التصفيق في نفس الوقت مقاطع هذه الإيقاعات طبقاً للمثال أعلاه، ولاحقاً، يطلب إلى الأطفال أنفسهم اختراع مجموعات أخرى، وسوف نلاحظ أنهم يمارسون بطرق مختلفة بعض خبراتهم وتجاربهم ومعرفتهم السابقة لبعض العناصر الإيقاعية المرتبطة بالألعاب المُخْتَلِفة.

بنفس الآلية المتدرجة يَتعلّم الأطفال أيضاً العناصر اللحنية والمسافات الموسيقيّة (Intervals)، من خلال التدريب على بعض الأفكار اللحنية المألوفة والخاصة بأغاني رياض الأطفال الشعبيّة، وهنا، أيضاً، يُقدّم معلّم رياض الأطفال اللحنَ أولاً ثم يقوم الأطفال بتَقليده.

إحدى الألعابَ المنتشرة بين الأطفال أو في المدارس هي أَن تَغنّي ربط اسم كُلّ طفل مع فعل محدد بحيث يغنيه الأطفال مَع لحن وإيقاع مناسب، هذا بالطبع يُقابل التقطيع الطبيعي للأسماء والأفعال تبعاً لطريقة لفظها، وهكذا تختلف طريقة الغناء باختلاف الأسماء نفسها، وبما أن هذه اللعبة مألوفة لدى الأطفال، فيمكن اعتبارها وسيلة ممتازة كي يغنّوا الأشكال الإيقاعيّة البسيطة:

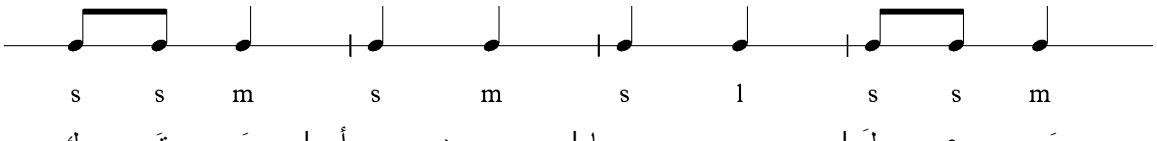

(كتبَ أحمد – سامر لعبَ)

إن الأمثلة السابقة وأيّة أمثلة أخرى مستمدّة من الأغاني الشعبيّة المألوفة للطفل يمكن أن تشكّل أداة تعليميّة للموسيقا النظريّة وتربية الأذن والغناء، وهذا هو جوهر نظريّة كوداي في الغناء الشعبي، فما ذهب إليه كوداي في استخدام الأغاني الشعبيّة لا يسعى فقط إلى تعليم الأغاني الشعبيّة كي يصبح الطفل قادراً على غنائها، فذلك يمكن أن يتعلّمه دون وجود معلّم موسيقا، إنما يريد به كوداي استغلال تلك الأغاني والألحان التي يمكن الاستعانة بها ووضع ما يناسب من كلمات جديدة لتعليم مفهوم موسيقي محدد، أو للتركيز على شكل إيقاعي أو مسافة لحنيّة محددة.

فمثلا لتعليم الأطفال مسافة الرابعة التامة (P. 4th) يمكن الاستعانة بلحن الأغنية الشعبية الأردنية (دخلك يا زيزافونة)، إذ يلاحظ بدء هذا اللحن بأداء هذه المسافة ما يعمق إحساس الأطفال بها:
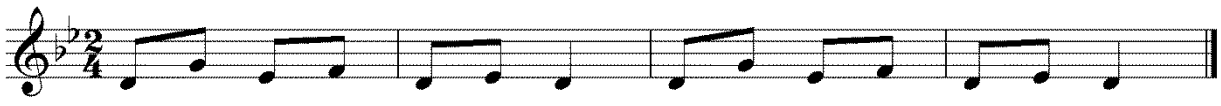
يقول كوداي أنه كلَّما بكّرنا في تعريض الطفل إلى مبادئ مثل هذه التمارين النغمية والإيقاعية، كلّما تمكّن من حفظها في ذاكرته بشكل أكثر ثباتا، لذلك من المُهم البَدْء في تعليم الموسيقي في عُمر مبكر قدر الإمكان، ولن تكون هناك جدوى إذا حاولنا تعليم هذه الأساسيات الموسيقية إلى الأطفال بعمر عشَر سَنَوات باستخدام نفس الطريقة، حيث لا الأغاني ولا الوسائلُ المتّبعة في تعليمهم تنسجم مع فئة عُمرهم العقلي، وبناء على ذلك، تنادي طريقة كوداي بأن يَبْدأ الأطفالِ بتعليم موسيقي منظّم بأسرع ما يمكن، ومن المفضل في دور رياض الأطفال، وأن يتكيف كُلّ التعليم اللاحق بشكل مُحدّد مع

اهتمامات الفئة العُمرية، فالغالبية العظمى من الأطفال يتوجهون إلى دور رياض الأطفال أو مرحل ما قبل المدرسة، ومن المفترض أن يصبح أكثرهم ببلوغه سن السادسة من العمر معرضاً لعدداً كبيراً من أغاني المرحلة من الموروث الشعبي، ويصبح محصوله المعرفي والحسي من الأنماط الإيقاعيّة واللحنيّة وافياً وتنمو قابليّته الموسيقيّة وتتطور بشكل ملحوظ.

عندما يلتحق الطفل بدار رياض الأطفال يفضّل اللعب، وعليه يجب أَن يتم تعليمه أساسيات الموسيقا عن طريق اللعب، وعندما يتقدم الطفل في المرحلة العمرية ينمو تفكيره الجاد سنة بعد سنة، حينئذٍ يَجِبُ أَنْ يتم تعليمه بطرق أكثر جدّية وأكثر تنظّيماً، وحينما يربط الطفل كُلّ الخبرات الموسيقية التي تعلمها بالتجربة الشخصية، سواء من خلال الغناء أَو الأشكال الأخرى من الأنشطة الموسيقية، لَنْ تصبح دراسته بطيئة ومملة كما لو كان تعلّمه بالطريقة التقليديّة، لكن الغناء واللعب يوفر لديه التسلية الدائمة والمتعة.

إن الأساسيات الموسيقيّة التي يتعلمها الطفل يَجِب أَنْ تُسْبَقَ بالعديد مِنْ المقطوعات الموسيقية المَحتوية على الأمثلة، خصوصاً في المراحل الدراسية الدنيا، حيث يَتعلّم الأطفال تلك الألحان بواسطة التلقين، وبعد ذلك يتم تعليمهم الاصطلاحات الموسيقيةَ ذات العلاقة، والمثال التالي يوضّح ذلك، مع الإشارة إلى أنه يَجِبُ أَن تتم محاولة تطبيق وتحفيظ سكتة النغمة السوداء (Crotchet rest) فقط بَعْدَ أَن يتمكن الأطفال من غناء أربع أَو خمس أغنيات تحتوي تلك السكتة.

في بادئ الأمر، يجب عدم ذكر كلمة "سكتة" أمام الأطفال؛ مجرّد فقط أَن تُؤدّى الأغنيةَ بتَقليد المعلّم وبعد ذلك سَيَفْهم الأطفال تفسيرها بسهولة أكثرَ:

(أنتِ شمعتي – لا تنطفئي)

التصفّيق أَو المشي سَيُساعدُ الطفلَ في النهاية أَن يصبح مدركاً بالكامل لطول السكتة الموسيقية عن طريق حركة معينة أَو المشي خطوةً بصمت، بدون غناء، لاحقاً، يَجِبُ أَنْ تكْتَب إشارة السكتة أيضاً، هكذا (𝄽)، وعند تصفيق إيقاع أغنية معينة، يشار إلى السكتة بفتح الأيدي إلى الخارج، بدلاً مِن استخدام التصفيق للسكتة.

كما تم ذكره سالفاً، طريقةَ كوداي تَعتمدُ على الغناء الذي هو أهم وسائل التعبير الموسيقية، وحتى لو لم يَتعلّمُ العَزف على الآلة، فسيبقى لديه الوسائل الممتازة التي تساعده في فهم وتذوق الموسيقا، فقد اعتبر كوداي الصوت الإنساني الآلةَ المتوفرة فوراً وأنها أفضل وسائل تعلّم الموسيقا وتذوقها، وأنه يُمْكِن أن تعزى جميع أنواع المؤلفات الموسيقية إلى الغناء؛ ففي أفضل أداء لأرقى الأوركسترات العالمية، يكون دور كل من الآلات الوترية وآلات النفخ ببساطة هو غناء اللحن (Cantabile)، ويُشيرُ كوداي إلى "توسكانيني" (Toscanini) المثال الأكثر ملائمة؛ صوت توسكانيني الأجش، الذي كان بواسطته يبيّن إلى العازفين رغباته في كيفية تشكيل التمريرات اللحني (Melodi Passages)، مما أدّى للوصول إلى الأداء الأكثر جمالاً وتعبيراً. استخدم توسكانيني كلمة غنّي "Cantare" لتَشجيع العازفين، وقد أكد كوداي أنه يُمْكِن للعازفين أيضاً أَن يُترجموا أفضل الألحان بشكل أفضل على آلاتهم إذا قاموا بغناء تلك الألحان في دواخلهم. ليس الغناء مهماً كوسيلة فقط للوصول إلى أداء المادة اللحنيّة، فالموسيقي الجيد سَيَتَخيّل التدوين في عقله قبل مُحَاوَلَته أداءه على آلته(Szönyi, ibid: 46 - 45).

بما أننا نعطي الغناء الأهمية الأولى في منهجية كوداي، فيفترض أَن نُجيب على التساؤل القائل: بأي الوسائل يمكن تعليم الأطفال ذلك على أفضل وجه؟ تبعاً لكوداي بأنّهم يَجِب أولاً أَن يَتعلّموا الأغاني الشعبيةَ الخاصة بأقوامهم تماماً كما يَتعلّمون لغتهم الخاصة أولاً، وبعد أَن يستوعبوا ذلك بشكل تام (بمعنى آخر؛ يصبحون قادرين على قراءة وكتابة الموسيقا) يَجِب أَنْ يَتّجهوا إلى موسيقا البلدان الأخرى، وغالباً ما كان كوداي يقتبس كلمات روبرت شومان (R. Schumann) في الإشارة إلى الموسيقا الشعبية: "فقط أولئك المثابرون على غناء الأغاني الشعبية يُمْكِنهم أَنْ يُقدّروا خصائص الشعوب الأخرى"، دعم كوداي هذه الفكرة قائلاً أنه إذا كان بالإمكان، يَجِب أَنْ

تغنّى أغاني الشعوب الأخرى بلغتهم الأصلية، مما يَزيد معرفتنا باللغات، ويزيد تفهمنا لتلك الشعوب. وقد وصف كوداي الأغنية الشعبية بما يلي:

1- إنّ الأغنية الشعبيةَ بحد ذاتها هي قالب موسيقي كامل.

2- إنّ الأغنية الشعبيةَ هي اتحاد منسجم مِن الكلمات والموسيقا، وتعبير تلقائي عن روح الأمة.

3- تشكّل الأغنية الشعبية طريقة أسهل ومادة أيسر نتوصل من خلالها لتدريس الألحان والإيقاعات. وهكذا، وبَعدَ إتقان تلك المبادئ الأساسية، يمكن للطفل أن يستجيب للموسيقا المؤلفة أو الفنيّة، حيث سيقوم بشكل تلقائي بتطبيق المعرفة التي تشكّلت لديه من خلال تعلّمه للموسيقا الشعبية.

ويعطي كوداي تعليماته لتعليم الوزن الإيقاعي من خلال الأغنية الشعبية وأغاني الطفولة، حيث يشير إلى قيام المدرّس بتعليم تلك الأوزان الإيقاعية في ترتيب يتمثل بتوالي الوحدة الزمنية الواحدة "السوداء" (crotchet)، ذات السن (quavers)، سكتة سوداء (crotchet rests)؛ الميزان، ثنائية السن (semiquaver) الميزان الثنائي 4/2 (duple time)، ولاحقاً الميزان ثلاثي 4/3 (triple time)، ويتم مواصلة تعليم الوزن الإيقاعي لاحقاً مع تعليم تأخير النبر (syncopation) في ميزان 4/2 ثم يتم تعليم السوداء المنقوطة (dotted crotchet)، وهذا الوزن الأخير يظهر في الحقيقة في أغاني مستوى مرحلة رياض الأطفال، لكن تعليمه يبدأ كجزء من أساسيات تعليم الموسيقا في مراحل لاحقة، كما أسلفنا سابقاً يجب أن تتم عملية التعليم الموسيقي في البداية عن طريق الأذن وليس بالطرق التعليمية التي تعتمد على التفكير المجرّد، في كل تتابع للمادة الصفيّة، يتعلم الطفل عنصراً موسيقياً جديداً بطريقة لا شعورية، حتى يصل إلى مرحلة القراءة الفورية.

على أيّة حال، السرعة التي يتم فيها تدريس تلك الأساسيات تعتمد دائماً على عوامل الاستعداد، والقدرة الموسيقية، والعمر، وعدد الطلبة، وتكوين الصفّ المعني.

نتائج الدراسة والتوصيات

بعد أن قام الباحث بشرح تحليلي لمنهجيّة كوداي وإعطاء بعض الأمثلة التوضيحيّة، فقد توصلوا للنتائج الآتية:

1- تعتبر الأغنية الشعبية في منهجيّة كوداي عامل أساسي وهام في تعليم نظريات الموسيقا، والعزف، والغناء، وأهم ما في الأمر تربية الأذن الموسيقيّة والتذوّق الموسيقي.

2- يجب أن يتم تدريب الأطفال على الغناء الشعبي وتعريضهم للخبرات الموسيقيّة في سن مبكرة ومن قِبَل مدرّس متخصص.

3- يتم تعليم الأطفال لنظريات الموسيقا تبعاً لمراحلهم العمريّة، إذ تختلف قدراتهم في فهم الاصطلاحات والمفاهيم، كما تختلف طريقة تعليمهم بانتقالهم من مرحلة عمريّة إلى أخرى.

4- يحب التركيز على الأغاني الشعبية المحليّة ومن ثم الانطلاق إلى الأغاني الشعبيّة للشعوب الأخرى.

أما التوصيات فهي الآتية:

1- ضرورة تضمين الغناء الشعبي في منهاج الموسيقا في المدارس على أن يحتوي أهداف محددة وواضحة.

2- تدريب معلمي المدارس على استخدام منهجيّة كوداي وكيفيّة توظيفها.

3- جمع الأغاني الشعبيّة الخاصة بالأطفال وتحليلها من حيث الأشكال الإيقاعية والأنماط اللحنية والمسافات الصوتيّة والآلات المستخدمة.

4- التركيز على الألعاب الموسيقيّة كفعل متزامن مع الغناء الشعبي.

المصادر والمراجع

شورة، نبيل (د.ت.)، دليل معلّم الموسيقى في التربية الموسيقية، كليّة التربية الموسيقية، جامعة حلوان، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 175.

صادق، آمال وعائشة صبري (1978) تعليم الأناشيد والفنون المدرسية، مكتبة الأنجلو المصرية، دار وهدان للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية 235.

فرج، أميرة سيّد، وسوزان عبدالحليم، ومنال علي (2004) الأنشطة الموسيقيّة بين النظريّة والتطبيق، كليّة التربية الموسيقيّة، جامعة حلوان، القاهرة، 136.

وزارة التربية والتعليم الأردنية (2004) الإطار العام لمنهاج الموسيقا والأناشيد، إدارة المناهج والكتب المدرسية، عمان، الأردن، ص5.

وزارة التربية والتعليم الأردنية (2008) أسس الإكمال والنجاح والرسوب للعام الدراسي 2008/ 2009 للتعليم الأساسي (للفروع

الأكاديمية)، قرار رقم 3412/2/18 تاريخ 2008/8/12، عمان – الأردن ص (16 – 50).

Campbell, D. (2002) The Mozart effect for children – awaking your child's mind, health, and creativity with music, Quill- An imprint of Harper Collins Publishers, U.S.A. 271.

Gordon, E. (1990) A music learning theory for newborn and young children. GIA Inc. publications U.S.A. 166

Szönyi, E. (1990) Kodály's Principles in Practice, Fifth Edition, Translated by John Weismann, Corvina Publishings, Kner Prnting House, Gyomaendröd, Hungary. 86.

Greata, J. (2006) An Introduction to Music in Early Childhood Education, Thomson Delmar Learning, U.S.A. 270.

Bónis, F. (1964) In Retrospect, A collection of Articles Published in Kodály's lifetime, Zeneműkiadó, Budapect.

مراجع الشبكة

Earl, G. (1998). *THE KODÁLY CONCEPT*. retrieved 16 September 2014, from http://www. britishkodalyacademy.org/ Web Site: http://www. britishkodalyacademy.org/public_downloads/The Kodaly Concept Gillia Earl.pdf.

Trinka, Jill The Kodály Approach. (n.d) retrieved 15 September 2014, from http://www.allianceamm. org/ Web Site: http://www.allianceamm.org/ resources_elem_Kodaly.html

Kodály's Methodology to Teach Singing and Music Theory in Kindergarten and Primary School Education

Rami Haddad*

ABSTRACT

Sultan Kodály is a musician and researcher in music education field, who emphasized the importance of music in the development of sense and character building of the child. This study aimed at elaborating the methodology followed by Kodály in implementing folk music in teaching singing as well as some musical theories for children in kindergarten and primary education at school. The study also aimed at emphasizing the importance of preserving folklore music and its role in educational process.

Adopting the analytical method by analyzing the Kodály theory and interpretation of the results guaranteed to understand and make proposals to employ them, the study concluded in this study some important results; The folk song is an essential factor and plays important role in teaching theories of music, music playing, singing, and the most important ear training and music appreciation. It should be given for children at an early age.

The researcher ends this study with some recommendations; the need to include folk-music teaching at schools, the need to train school teachers on the use of Kodály method.

Keywords: Music, Folk Music, Kodály's Methodology, Music Education.

* Faculty of Arts and Design, The University of Jordan. Received on 2/7/2014 and Accepted for Publication on 20/10/2014.